مقدمة المترجم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده .

وبعد :

أتيح لى أن أجد نسخة محررة باللغة الإنجليزية لكتاب فى غاية الأهمية من تأليف الدكتور «موريس بوكاى» بعنوان : «التوراة والأناجيل والقرآن والعلم» : "The Bible, The Qur'an and Science" . والدكتور موريس بوكاى Maurice Bucaille جرّاحٌ فرنسى شغلته المقارنة بين الأديان عن مهنة الطب والجراحة فكرّس عشرات السنين من أنضج سنى عمره لدراسة التوراة والأناجيل والقرآن الكريم فى محاولة جبارة للمقارنة بين الأديان ، وعلى وجه الخصوص أديان التوحيد الثلاثة وهى: اليهودية والمسيحية والإسلام ، وهى الأديان التى يقول أصحابها: إنها أديان التوحيد بالله سبحانه وتعالى .

ومن الجدير بالذكر أن ترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية قد اضطلع بها نَقْلاً عن الفرنسية الأستاذ «ألاستير د . پانيل Alastair D. Pahnell" وأسهم فى ترجمة الكتاب من الفرنسية إلى الإنجليزية الدكتور «موريس بوكاى» مؤلف الكتاب نفسه ؛ مما يجعل للترجمة الإنجليزية للكتاب نفس مصداقية الأصل الفرنسى للكتاب إلى حد كبير . وعنوان الكتاب يشير بجلاء إلى أهمية موضوع هذا الكتاب. ويهمنا فى هذه المقدمة الوجيزة أن نشير بادئ ذى بدء إلى الاعتبارات الآتية:

١- الحوار بين الأديان

إذا كان البابا يوحنا بولس الثانى رأسُ الكنيسة المسيحية الكاثوليكية ينادى بضرورة الحوار بين الأديان فمرحبا بالحوار بين الأديان عندما لا يكون القصد من الحوار هو مجرد الحصول على جواز مرور للمعتقدات الكاثوليكية للنفاذ والمرور فى أوساط لا تقبل بها لعدم توافر القدرة على الإقناع فيها . ومرحبا بالحوار إذا كان خلوا من المغالطة والسفسطة . مرحبا بالحوار إذا كان الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحقيقة فيما يتعلق بشأن موضوع الحوار . مرحبا بالحوار إذا كان الهدف من الحوار هو الرضوخ إلى الحقيقة مهما تكن الحقيقة التى يفضى إليها الحوار .

وإذا كان البابا يوحنا بولس الثانى يدعو إلى الحوار بين الأديان فى العقود الأخيرة من القرن العشرين ، فإننا نجد أن القرآن الكريم قد دعا بالفعل إلى الحوار على صورة أجمل وأفضل وأحسن منذ أربعة عشر قرنا فى آيات كثيرة من القرآن الكريم مثل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن**

سبيله وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

هكذا يحدد القرآن الكريم منهج الدعوة إلى الإيمان بالله ، ويأمرنا الله أن تكون الدعوة إلى دين الله بالحكمة وبالموعظة الحسنة ، وأن يكون الجدل بالتى هى أحسن .

وبالقرآن الكريم آيات كثيرة تنهى عن المغالطة فى الجدل وتنهى عن الكِبْر المفضى إلى العناد والتمسك بالأباطيل رغم وضوح الحقائق مثل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾ [الكهف :٥٦] .

دعا القرآن الكريم إلى الحوار بين الأديان منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، وحدد منهج هذا الحوار ، وأوصى أن يكون هذا الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما أوصى بوجوب ألا يكون الحوار بالأباطيل والمغالطات التى يحاول أصحابها أن يدحضوا بها الحق .

والقرآن الكريم حافل بصور متعددة من الحوار بين معتقدات الأديان السابقة زمنيا للإسلام من الوثنيين وعبدة الكواكب والنجوم ، كما عرض القرآن الكريم بالحوار والجدل لشوائب التوحيد فى بعض الأديان التى تنادى بالتوحيد مع الإصرار على التمسك بشوائب تشوب هذا التوحيد الذى يزعمونه .

والسيرة النبوية الشريفة حافلة بالعديد من صور الحوار بين الأديان الوثنية واليهودية والمسيحية ؛ فقد كان الوثنيون يجادلون النبى ﷺ ويحاورونه أشد الجدل وأقوى الحوار . وكان اليهود يحضرون مجلس النبى ﷺ ويسألونه ويجيب عن أسئلتهم رغم ما فى أسئلة اليهود من مكر وختل كما كانوا يسألون المسيح أسئلة ماكرة مخاتلة .

الجدل والحوار بين الأديان موجود منذ قديم الزمان بل هو مصاحب لظهور الأديان فى كل مكان وفى كل زمان ، وليس الجدل والحوار بين الأديان وليد القرن العشرين ، ولكن أهم ما يهم، وأجدى ما يجدى ، وأنفع ما ينفع ، وأصلح ما يصلح ، هو : أن يكون الجدل والحوار بين الأديان خلوا من المغالطة والسفسطة ، هادفا إلى بلوغ الحقائق والاعتراف بها عند ظهور الحقائق الناتجة عن الحوار السليم .

وتتبدى أكثر ما تتبدى ، وتتجلى أروع ما تتجلى أعظم صور الحوار بين الأديان من خلال السيرة النبوية الشريفة فى مناظرة النبى ﷺ مع وفد نصارى نجران فى أواخر العام التاسع الهجرى (٦٣١م) .

كان النبى ﷺ قد استقبل وفد نصارى نجران بكل الود والترحاب والإكرام ، وأنزلهم بأكرم

مكان إذ جعل إقامتهم بمسجده بالمدينة المنورة . ولما ذهب بعض المسلمين يقولون للنبى ﷺ :«إن أعضاء وفد نصارى نجران يصلون بمسجدنا صلاة غير صلاتنا ، ويتجهون إلى غير قبلتنا» ، قال لهم النبى ﷺ : «**دَعُوهُمْ**» .

كان عدد أفراد وفد نصارى نجران ستين راكبا ؛ كانت ملابسهم فخمة ، وكانت جيادهم مطهمة قوية ، حتى قال أهل المدينة : لم نر وفدا مثل هذا الوفد فى الأبهة وحسن المظهر من قبل قط . وكان الوفد يضم ثلاثة من كبار القساوسة تنحصر فيهم الرئاسة الإدارية والثقافية ، ويضم أيضا بعض صغار القساوسة وبعض الخدم والحشم . كان وفدا منظما تنظيما دنيويا جيدا . وكان أعضاء الوفد يظنون أن مهمتهم فى مناظرة النبى العربى الأمى الذى لا يجيد القراءة والكتابة سهلة يسيرة .

ولما نزلت عشرات الآيات القرآنية الكريمة بصدر سورة «آل عمران» تُنْبئ النبى ﷺ الحقائقَ المتعلقة بشأن المسيح وأم المسيح وقوم المسيح اطمأن المسلمون أن الله لن يتخلى عن النبى ﷺ فى مواجهته الحاسمة مع وفد نصارى نجران، وارتعدت فرائص رؤساء وفد نصارى نجران ، وزُلْزِلُوا ، وعرفوا أن مهمتهم صعبة عسيرة . وليس هذا مجرد ظن أو تخمين ، بل تقوم عليه أقوى الأدلة والبراهين ؛ إذ كان النبى صلى الله عليه وسلم يخاطب أثناء كلامه فى هذه المناظرة اثنين ، ولا يخاطب شخصا واحدا كما جرى العرف فى المناظرات أن يخاطب الشخص شخصا واحدا يناظره .

لماذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يخاطب فى هذه المناظرة شخصين ولا يخاطب شخصا واحدا ؟

جواب هذا السؤال الوحيد هو أن أعضاء وفد نصارى نجران عندما سمعوا المسلمين يرددون – وَهُمْ مستبشرون – آيات صدر سورة آل عمران أيقن أعضاء وفد نصارى نجران أن مهمتهم فى مناظرة نبى الإسلام ﷺ ليست سهلة يسيرة ولكنها صعبة عليهم وعسيرة ، إن النبى الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف لغة الكتب المقدسة السابقة زمنيا على الإسلام يعرف كل الحقائق بشأن المسيح –عليه السلام –وليست مغالطته سهلة ولا ميسورة، ولا ريب أن أعضاء وفد نصارى نجران قد واجهوا سؤالا مهما هو : من منهم هو الذى سيقوم بمناظرة نبى الإسلام ﷺ ؟ ولا ريب فى أنهم قد اختلفوا فيما بينهم بصدد هذا السؤال ، وحاول كل منهم التنصل من هذه المهمة التى غدت صعوبتها واضحة بادية للعيان . من ذا الذى يتحمل نتائج الفشل والخسران فى مثل هذه المناظرة بين المسيحية والإسلام التى يراقب نتائجها باهتمام كل أصحاب الأديان يهودا ونصارى ومسلمين ؟!

طال خلافهم حول هذه المسألة بطبيعة الحال ، واستقر رأيهم على أن يقوم بمناظرة النبى صلى

الله عليه وسلم شخصان منهم لا شخص واحد .

ومن الضرورى أنهم استأذنوا النبى ﷺ فى ذلك لعدم وجود شخص بينهم يقبل أن يتقدم للمناظرة بمفرده فأذن لهم بذلك ، وبسطا وجهة النظر المسيحية فى ألوهية المسيح وأنه ابن الله ، وعرضا سائر المعتقدات المسيحية .

وعندما جاء دور النبى ﷺ فى الكلام ، لم يعمد النبى ﷺ إلى مواجهة أعضاء وفد نصارى نجران بآيات من القرآن الكريم بشأن المسيح مع وجودها ، بل واجه أعضاء وفد نصارى نجران بأسئلة يتطلب كل منها الإجابة بالإيجاب ، أو الإجابة بالنفى ، معتمدا فى ذلك على المعقولية والبداهة .

قال النبى ﷺ : **أسْلِما**[1] .

قالا : أسلمنا قبلك .

قال ﷺ : **كذبتُما . منعكما من الإسلام ادعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير** .

قال أحدهما : إن لم يكن عيسى ولدُ الله فمن أبوه ؟

قال ﷺ : **ألستم تعلمون أنه لا يوجد ولدٌ إلا ويشبه**[2] **أباه؟**

قال أحدهما : بلى[3] .

قال ﷺ : **ألستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت ، وأن عيسى قد أتى عليه الموت ؟**

قال أحدهما : بلى[4] .

قال ﷺ : **ألستم تعلمون أن ربنا قَيِّمٌ على كل شىء يحفظه ويرزقه ؟**

قال أحدهما : بلى .

قال ﷺ : **فهل يملك عيسى من ذلك شيئا ؟**

قال أحدهما : لا .

---

(١) انظر : أسباب النزول للنيسابورى ص ٧٠ .

(٢) ابن الحصان حصان . وتتطابق الصفات الأساسية الجوهرية للحصان الابن مع الحصان الأب ، ولسوف يتضح من المناظرة الفروق فى الصفات الأساسية الجوهرية بين الله – عز وجل – وبين المسيح عليه السلام . لا يوجد حصان يموت وآخر لا يموت .

(٣) تستخدم «بلى» بمعنى «نعم» عند الإجابة بالإيجاب عن سؤال فى صيغة النفى .

(٤) كان ذلك فى أواخر العام التاسع الهجرى . يؤكد النبى ﷺ أن سيدنا عيسى قد أتى عليه الموت . مات . ويوافقه النصارى آنذاك على أن المسيح قد مات . ويبرهن النبى ﷺ بذلك على أول وأهم الفروق بين الله وبين المسيح ، إذ أن الله حى لا يموت والمسيح قد أتى عليه الموت ، لم تكن الأحاديث المتعلقة برفع المسيح حيا بجسمه وروحه إلى السماء قد تم وضعها ودسها على المسلمين بعد .

قال ﷺ : **فإن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء .وربنا لا يأكل ولا يشرب[1] ولا يُحْدِثُ ؟**

قال أحدهما : بلى .

قال ﷺ : **ألستم تعلمون أن عيسى قد حملته أُمُّهُ كما تَحْمِلُ المرأةُ ، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثم غُذِّى كما يُغَذَّى الصبيةُ ، ثم كان يطعم ويُحْدِثُ ؟**

قال أحدهما : بلى .

قال ﷺ : **فكيف يكون هذا كما زعمتم[2] ؟**

وعندئذ لم يُحر أحد من وفد نصارى نجران جوابا . فعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المباهلة أى : أن يَدْعُوَ الطرفان الله أن يجعل لعنته على الكاذبين المتمسكين بالباطل ظُلْماً فى هذا الصدد ، وذلك مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ** ﴾ [آل عمران : ٥٩ - ٦٣] .

وعندما وصل الحوار بين النبى ﷺ وبين أعضاء وفد نصارى نجران إلى حد أن طلب النبى ﷺ من وفد نصارى نجران «المباهلة» كما أوضحنا ، لم تعد المسألة مسألة حجة ودليل وبرهان ، بل أصبحت مسألة رأى وسياسة وقرار .

ولذلك طلب وفد نجران مهلة من الوقت للتشاور والبحث !

وأعلن صاحب مشورتهم أنهم خسروا المناظرة ، وتأكد لهم أن محمدا ﷺ هو رسول الله حقا وصدقا ، وأن الهلاك سيحيق بهم لو قبلوا «المباهلة» .

كما خيرهم صاحب مشورتهم بين البقاء على دينهم الذى أَلِفوه مع موادعة الرجل أو الدخول

---

(١) مشاكل الجسم البشرى الحى ومطالبه أدلة على البشرية ونفى الألوهية عن أى كائن بشرى إذ أن الله لا يأكل ولايشرب ولا يحدث ولاينام ولايتعب كالبشر . والإحداث : هو إخراج فضلات الطعام والشراب . إن الذين دسوا على المسلمين فكرة أن المسيح حى بجسمه وروحه فى السماء الآن إنما أرادوا أن يضعوا هذه المشكلة أمام المسلمين بدل أن تكون هذه المشكلة عندهم هم وحدهم .

(٢) سؤال إنكارى معناه أن سيدنا عيسى – عليه السلام – ليس إلها ولاجزءا من إله وليس ابنا لله بالمعنى المتفق عليه بين الناس للأبوة والبنوة كما يزعم النصارى . ولقد أوضح النبى صلى الله عليه سلم الأسباب الكافية لإنكار واستحالة تحقق مزاعم النصارى بشأن المسيح عليه السلام .

فى الإسلام الذى يؤمن بالرسل جميعا ، ولا يفرق بين أحد من رسل الله . وكان أن ارتضى وفد نصارى نجران موادعة النبى ﷺ وعاد إليه وفدهم صبيحة اليوم التالى لدعوته لهم إلى المباهلة ، فقالوا له : «يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ، ونتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها فى أموالنا؛ فإنكم عندنا رضًا» .

وأعود فأتساءل بعد هذا العرض :

لماذا رفضوا المباهلة ؟ وعلام يدل رفضهم ؟

وماذا يعنى قولهم للنبى ﷺ عند انصرافهم :

«ونتركك على دينك ، ونرجع على ديننا»

وما معنى قولهم للنبى ﷺ :

«لكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا ، ويحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها فى أموالنا فإنكم عندنا رضا » ؟!

وعلى كل لقد أسفرت هذه المناظرة عن تخلى أعضاء وفد نصارى نجران عن هدفهم من المناظرة التى تعد بكل المقاييس نموذجًا للحوار ، وآداب الحوار بين الأديان .

وليس أدل على ذلك من أن النبى ﷺ أرسل معهم «أبا عبيدة بن الجرّاح» وقال له :

«اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه» .

٢- المقارنة بين الكتب المقدسة

الكتب المقدسة هى الكتب التى يفترض من يقدسونها أنها كلام الله أنزله إلى البشر بواسطة أنبياء الله ورسله الذين اختارهم الله واصطفاهم لتلقى كلامه وتبليغه إلى الناس سواء كانوا قوما بعينهم كما هو شأن الأنبياء والرسل السابقين زمنيا على ظهور الإسلام ، أو كان إلى الناس كافة كما هو شأن خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

والقرآن الكريم يعترف بأن الله قد أنزل كتبا سماوية على بعض الأنبياء والمرسلين مثل التوراة ، أنزلها الله على سيدنا موسى –عليه السلام –والزبور وأنزله الله على سيدنا داود –عليه السلام – والإنجيل على سيدنا عيسى عليه السلام .

ويقرر القرآن الكريم أن الله قد ائتمن الناس على كلام الله فى الكتب السماوية السابقة زمنيا

على الإسلام ، ولكن الناس لم يرعوا للأمانة بشأن كلام الله حقوقها ؛ فأضافوا إلى كلام الله كلاما من عند أنفسهم ، وحذفوا ، وغيروا ، وبدلوا في كلام الله ، وذلك في مثل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [**البقرة** : ٧٥] .

هذا هو ما يقرره القرآن الكريم بشأن الكتب المقدسة السابقة زمنيا للقرآن الكريم ، وعبثا يحاول بعض الناس إنكار هذه الحقيقة الربانية إذ يقولون : لا . من الذى غير وبدل كلام الله ؟... كيف...؟ أين...؟ متى...؟ ويظنون خطأ أنه يستحيل على الناس فى عصرنا أن يجيبوا عن مثل هذه الأسئلة ، وأنّى للناس أن يحددوا بالضبط الشخص الذى حرف وبدل فى كلام الله ؟!

لا يهم مَنْ الذى حرف وبدل فى كلام الله ، ولسنا بصدد القبض على جان أو جناة تفوق جناياتهم كل الجنايات . يكفى وجود آثار التجنى واضحة محسوسة ملموسة للتدليل على حدوث الجناية . أما الأسئلة التى تبدأ بكلمات استفهامية مثل :من...؟ كيف...؟ أين...؟ متى...؟ فهى أسئلة ليس من المهم تحديد إجابة لها ، لسبب قوى هو أن هذه الجناية قد تمت فى شأن يتعلق بالله ، وعلى وجه التحديد : فى شأن يتعلق بكلام الله . والله سبحانه وتعالى يعلم كل العلم : من الذى بدل وحرف كلام الله عن مواضعه ، وهو سبحانه وتعالى يعرف كيف ...؟ وأين...؟ ومتى...؟ والله سبحانه وتعالى هو الذى سيتولى حسابه وعقابه وليس حساب مثل هذا الجانى علينا، وليس عقابه علينا، وعلى كل حال فلقد تم هذا التغيير وهذا التبديل فى زمان غير زماننا ، وفى مكان غير مكاننا ، وليس من الضرورى أن يكون الشخص الذى ينكر التحريف هو الذى حَرَّفَ . لقد حرَّفَ أشخاص كلام الله عن مواضعه قبل أن يولد مثل هذا الشخص .

المهم الآن هو وجود آثار وأدلة تدل بالقطع على تحريف وتبديل كلام الله فى مواضع كثيرة لا يتسع المقام هنا لسردها والتدليل على وجود التحريف[1] والتبديل فيها .

هذا ، وبينما يعترف القرآن الكريم بوجود كتب سماوية أنزلها الله سبحانه وتعالى قبل القرآن الكريم مثل: التوراة والإنجيل ، وبينما يعترف القرآن الكريم بوجود أنبياء أرسلهم الله إلى أقوامهم نجد أن أصحاب التوراة وأصحاب الإنجيل ينكرون أن يكون القرآن الكريم كلام الله ، وينكرون نبوّة سيدنا محمد ﷺ والقرآن الكريم لا ينكر حقيقة من الحقائق بينما يجترئ بعض الناس على إنكار الحق كله .

---

(١) يكفى أن نشير إلى بعض الكتب التى تعرض لتفاصيل ذلك مثل : مناظرتان فى ستوكهولم وعتاد الجهاد للشيخ أحمد ديدات – ترجمة : على الجوهرى – إصدار دار الفضيلة بالقاهرة .

٣- الوحى الإلهى

وليس من المعقول أن نعرض لترجمة كتاب الدكتور موريس بوكاى عن التوراة والإنجيل دون أن ندرس بالضبط : ما هو المقصود بالوحى الإلهى ، وندرس موقع كل من هذه الكتب الثلاثة من الوحى الإلهى .

«الوحى لغةً» هو الإعلام الخفى الخاص بمن يوَجِّهُ إليه الوحى بحيث يخفى على غيره[١] .

ومنه يتضح أن «الوحى لغة» هو مطلق الإعلام غير مقيد بمتلق أو بمرسل. إنه يتم بين أى متلق لأى مرسل . يجوز فيما يتعلق بالاستخدام اللغوى للوحى أن أوحى أنا إليك ويجوز أن توحى أنت إلىَّ أو إلى أى شخص آخر .

وقد يكون «الوحى بمعناه اللغوى» عن طريق الكتابة أو الكلام أو الرسم أو التعريض أو التلميح أو الإيماء أو الإشارة مرئية أو مسموعة بحيث تصل من المرسل إلى المستقبل موحية باعتقاد معين أو بفكرة معينة أو بالدعوة إلى القيام بعمل معين كما يكون الرسم من رسوم الكاريكاتير موحيا بفكرة من الأفكار !

وتستخدم كلمة «الوحى» بهذا «المعنى اللغوى» الواسع منذ فجر التاريخ وحتى اليوم فى النثر الأدبى ،كما أنها كانت ولا تزال تستخدم فى الشعر العربى ومن ذلك قول الشاعر :

نظرتُ إليها نظرة فتحيَّـــرتْ دقائق فكرى فى بديع صفاتها

فأوحى إليها الطرف أنى أحبها فأثَّر ذاك الوحى فى وجناتهـــا

«والوحى بمعناه اللغوى» قد يكون نابعا من الذات ويسمى إلهاما inspiration وقد يكون صادرا عن شخص آخر ويسمى إيحاء suggestion وإذا كان الإلهام أو الإيحاء بالمعنى اللغوى ضارا سمِّىَ وسوسةً delusion وإذا كانت الوسوسة متضمنة لوساوس قهرية مرضية نصبح إزاء حالة مرضية نفسية يطلقون عليها اسم Hypochondriasis .

أما «الوحى بمعناه الشرعى» فمن الضرورى أن يكون صادرا عن الله سبحانه وتعالى إلى مَنْ اختاره الله – سبحانه وتعالى –واصطفاه من الناس ، وقد شاءت إرادة الله – سبحانه وتعالى – أن يخلق من اصطفاهم واختارهم لتلقى «الوحى الإلهى» بحيث تكون نفسيتهم وفطرتهم مهيأة لتلقى «الوحى الإلهى» وهم أنبياء الله ورسل الله –عليهم السلام – فى الغالب الأعم لصور الوحى الإلهى كمصدر لكلام الله إلى الناس فيما يعرف بأنه الكتب المقدسة ؛ إذ أن الوحى الإلهى هو

(١) انظر : الشيخ محمد رشيد رضا ـ الوحى المحمدى ـ ص٧ ـ ط٧ ـ الزهراء للإعلام العربى بالقاهرة .

الطريقة المتاحة الممكنة لتبليغ كلام الله إلى الناس حيث أخبرنا الله فى القرآن الكريم أن البشر لا يستطيع أحد منهم أن يرى الله سبحانه وتعالى ، ومن هنا تحتم أن يكون الوحى الإلهى هو الطريق الإلهى لوصول «كلام الله سبحانه وتعالى» إلى[1] الناس وفقا لمشيئة الله وإرادته عن طريق من اختاره الله واصطفاه لتلقى هذا الوحى الإلهى ، والدليل على ذلك هو قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى : ٥١] .

وإذا كانت نُبُوَّةُ سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم –وحقيقة أنه خاتم الأنبياء والمرسلين يشهد بهما الواقع الفعلى لتاريخ البشرية ، وإذا كان القرآن الكريم موجودا فى الواقع الفعلى الذى يعيشه البشر حتى الآن ، وإذا كانت التوراة على نحو ما هى موجودة يصر اليهود على أنها الكتاب السماوى الوحيد، ويعتبرها النصارى بمثابة العهد القديم وقد أضافوا إليها ما أسموه الأناجيل أو العهد الجديد ، فمن الضرورى أن نبحث عن معايير الصدق والمصداقية فى هذه الكتب السماوية الثلاثة وهى : التوراة أو العهد القديم والأناجيل أو العهد الجديد ، ثم أخيراً القرآن الكريم . ما هو معيار أو مقياس الصدق فى الكلام المنسوب إلى الله فى كل من هذه الكتب السماوية ؟

٤- معيارُ صِدقِ الوحى الإلهى

فى تعريفنا للوحى الإلهى الشرعى الجلىّ ذكرنا أنه لابد أن يكون هذا الوحى الإلهى الشرعى الجلىُّ صادرا عن «الله سبحانه وتعالى» إلى النبى أو الرسول الذى اختاره الله واصطفاه ليبلغ كلام الله إلى قوم من الأقوام فيما يتعلق بالرسل السابقين زمنيا على الإسلام أو إلى الناس كافة فيما يتعلق بكلام الله كما أوحاه إلى نبى الإسلام ﷺ .

والآن ، يجد الناس ثلاثة كتب لثلاثة أديان : التوراة أو العهد القديم لليهود، يزعمون أنها هى الكتاب المقدس الوحيد الذى أنزله الله إلى الناس . والأناجيل أو العهد الجديد لدى النصارى يزعمون أن الأناجيل المكونة للعهد الجديد مع حذف الأناجيل التى يعتبرها النصارى غير صحيحة (أبوكريفا) بالإضافة إلى التوراة أو العهد القديم هى الكتاب المقدس الذى أنزله الله . ولا يعترف اليهود ولا النصارى أن القرآن الكريم كتاب سماوى أنزله الله على نبى الإسلام سيدنا محمد ﷺ بينما يقرر الإسلام أن الله قد أنزل التوراة على سيدنا موسى ، ولكن فريقا منهم قد حرفوا فيها ، وبدلوا كلام الله عن مواضعه ، وأن الله قد أنزل «الإنجيل» على سيدنا عيسى –عليه السلام –

(١) عندما يرى المستمع الشخص الذى يكلمه لا يكون هذا «وحيا» إذ إن شرط «الوحى» خفاء وعدم ظهور الموحى للموحى إليه كما سبق أن أشرنا .

ولكن قوم سيدنا عيسى أضاعوه، والأناجيل الموجودة عند النصارى بحالتها الراهنة ليست هى الإنجيل الذى أنزله الله على سيدنا عيسى –عليه السلام – وهو الاعتبار الذى يؤكد صحته كل التأكيد نسبة الأناجيل ..كل إنجيل منها إلى شخص غير سيدنا عيسى ، وهو ثابت من قولهم : إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا ، وبقية العهد الجديد مجموعة من الرسائل منسوبة إلى أصحابها ، وكذلك أعمال الرسل ورؤيا يوحنا . وليس من بينها إنجيل منسوب إلى سيدنا عيسى عليه السلام .

ويقول النصارى : إن الروح القدس هو الذى أوحى هذه الكتب إلى أصحابها الذين ينسب كل منهم إنجيله أو رسالته معنونا بعنوان «الإنجيل وفقا لـ ... » أو رسالة بولس إلى أهل كورنثوس أو إلى أهل إفْسُسْ وهكذا . أى أن الكلام فى العهد الجديد منسوب إلى شخص آخر غير المسيح عليه السلام بكل صراحة ووضوح ، وليس بين الأناجيل إنجيل واحد بالعهد الجديد منسوب إلى المسيح –عليه السلام – ومن المعروف أن الروح القدس إنما هو أقنوم من الأقانيم الثلاثة التى يقول النصارى : إنها هى الله وهذه الأقانيم الثلاثة هى الأب والابن والروح القدس .

ولقد سبق أن أشرنا إلى أن «الوحى الإلهى الشرعى الجلىّ» لابد أن يكون صادراً عن «الله» وليس عن أى شىء آخر غير الله .

ويمكن أن نجد فى التوراة (العهد القديم) وفى الأناجيل أو العهد الجديد ثلاثة أنواع من الكلام بالنسبة إلى صاحب الكلام الذى يصدر عنه الكلام . وهذه الأنواع الثلاثة هى:

(١) كلام الله مثل : «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به» (سفر التثنية ١٨ : ١٨) وكذلك: «أنا الرب وليس غيرى مخلص .. أنا الله» (سفر أشعيا ٤٣ : ١١–١٢) .

وضمير المتكلم واضح فى هذا النوع من الكلام سواء كان مستترا يمكن تقديره أو كان ضمير متكلم واضح صريح ظاهر :«أنا الرب ... أنا الله» كما أن محتوى الكلام ومضمونه يتسق تمام الاتساق مع الربوبية والألوهية دون جدال .

(٢) كلام نبى من أنبياء الله مثل :«إيلى .إيلى لم شبقتنى » أى «إلهى إلهى لماذا تركتنى» (متّى ٢٧ :٤٦) . وإن كانت ترجمة قول المسيح عليه السلام «إيلى. إيلى لم شبقتنى» إلى: «إلهى .إلهى لماذا تركتنى » منسوبة إلى متّى دون جدال ، وليس إلى المسيح عليه السلام حيث إن المسيح –عليه السلام– قد قال كلماته المنسوبة إليه دون أن يترجمها ، وقام بترجمتها عنه شخص آخر غير المسيح هو «متى» أو هو أى شخص يترجم هذه الكلمات إلى لغة أخرى من اللغات غير لغة المسيح –عليه السلام – وسنعرض لمسألة ترجمة كلام الله فى موضع آخر إن شاء الله بعد قليل .

(٣) كلام مؤرخ وهو شخص ثالث ليس هو الله ،وليس نبيا من أنبياء الله، ولكنه مؤرخ يروى ويقص أحداثا بأسلوبه هو وبكلامه وأسلوبه وألفاظه هو ، وربما يتضمن كلام مثل هذا المؤرخ كلام الله وكلام نبى من أنبياء الله أو كلام أناس[١] آخرين مضاف إلى كلام المؤرخ وفى ثناياه مثل : «وفى الغد لما أخرجوا من بيت عنبا جاع . فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئا . فلما جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقا ، لأنه لم يكن وقت التين» (مرقس ١١ :١٢-١٣) هذا كلام يحكيه إنجيل مرقس عن المسيح بألفاظ وأسلوب مرقس ولا دخل للمسيح فى إنشائه .

ومعظم الكلام بالتوراة والإنجيل من هذا النوع الثالث من الكلام . ومن المؤكد أن كلام الله بحق لا تناقض فيه ، ويستحيل أن يتصف بالخطأ أو البطلان أو التناقض من داخله أو خارجه . وندع للقارئ الكريم أن يتأمل النص الذى أوردناه على سبيل المثال لا الحصر لهذا النوع الثالث الذى يندرج تحته معظم كلام العهد القديم والعهد الجديد ؛ ليرى القارئ الكريم ما إذا كان نبى من أنبياء الله يتوجه إلى شجرة تين ليعثر على ثمرة فيها فلا يجد لأنه كما يقرر إنجيل مرقس لم يكن وقت التين . وندع للقارئ الكريم ما إذا كان يستسيغ أو لا يستسيغ عدم معرفة نبى من أنبياء الله موعد جنى ثمار شجرة التين من عدمه ليذهب إلى شجرة التين فى غير موعد إثمار شجرة التين فلا يجد فيها ثمرة . وندع للقارئ الكريم أن يوافق أو لايوافق على أن المسيح وهو إله عند النصارى «جاع» أم أن الجوع بالنسبة لله اعتبار غير لائق ، وعلى كل حال ، حسبنا هنا أن نشير إلى أن هذه هى رواية إنجيل مرقس إلى مسألة أن المسيح لما خرج مع الحواريين من بيت عنبا جاع فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئا ولم يجد فيها إلا ورقا لأنه لم يكن وقت التين ، فأجاب يسوع وقال لها ، قال للشجرة ، : لا يأكل أحد[٢] منك ثمرا بعد إلى الأبد. ومجمل القول هو أن كلام البشر يقبل النقد والنقض أما كلام الله فلا تناقض فيه ولانقض له .

هذا ، ومن المعروف أن الكلام الذى له منشئ للكلام أنشأه وقاله ، إما أن يكون كلاما فى صيغة الكلام المباشر Direct Speech عندما يتم نقل الكلام إلى الآخرين كما هو صادر عن شخص قائله ، وبخصوص الكتب المقدسة ينبغى ويلزم أن قائل ومنشئ الكلام الموجود فى أى كتاب مقدس هو الله سبحانه وتعالى ، وإما أن يكون كلاما فى صيغة الكلام غير المباشر Indirect Speech عندما يتم نقل فحوى الكلام ومعناه إلى الآخرين دون التقيد بنفس الألفاظ التى صدرت عن شخص قائله .

---

(١) عندما يقص القرآن الكريم القصص نجد أن الله وليس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذى يقص ويورد كلام أى شخص ينسب الله إليه الكلام .

(٢) ندع للقارئ الكريم أن يقدر بنفسه لنفسه مدى معقولية أن يكلم المسيح شجرة التين . وما ذنب شجرة التين أن أتاها المسيح فى غير وقت الإثمار ؟ أليس الإعجاز هو أن يجعلها تثمر بعد أن كانت غير مثمرة ليأكل ؟ .

المعيار الأول لصدق الوحى الإلهى

أول المعايير أو المقاييس لصدق الوحى الإلهى يمكن لنا أن نستمده ونجده فى العهد الجديد ، وعلى وجه التحديد فى الجملة الثانية والجملة الثالثة من الأصحاح الرابع من رسالة يوحنا الأولى ؛ إذ تقول بالحرف الواحد :«لاتصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم . بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله» (ايو ٤ : ٢-٣) .

ومن العجيب المدهش فعلا أننا نجد أن القرآن الكريم يعترف بأن المسيح قد جاء ، وقد أرسله الله بالفعل إلى بنى إسرائيل ليصحح لهم ما حرفوه وبدلوه من الشريعة الموسوية ،واتبعه قليل من اليهود وهم الحواريون ، وكفر برسالته معظم بنى إسرائيل المعاصرين له ، وحاولوا قتله صلبا ولكن الله أنقذه من محاولتهم قتله صلبا فما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم .

ونخلُص من ذلك إلى أن القرآن الكريم بتقريره أن سيدنا عيسى ابن مريم -عليه السلام- هو المسيح وأنه قد جاء إلى قومه بالفعل يكون كتابا صحيح النسبة إلى الله وفقا لهذا المقياس أو المعيار المستمد من نصوص العهد الجديد فى الموضع المشار إليه إذ أن القرآن الكريم يقرر أن المسيح هو سيدنا عيسى ابن مريم وأنه قد جاء بالفعل إلى قومه من بنى إسرائيل وذلك فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم مثل قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾
[**النساء** : ١٧١] .

وباعتراف القرآن الكريم وتقريره أن سيدنا عيسى ابن مريم هو المسيح - عليه السلام- وينفى القرآن الكريم التهم التى اتهم اليهود زوراً بها المسيح -عليه السلام - مثل قولهم : إنه كان ابن سفاح ، وأنه كان مارقا من الديانة اليهودية يجدف على الله ، يقول على الله ما لا يجوز ، ويدعى الألوهية ، وأنه كان مُهيِّجاً سياسيا ضد الرومان فقبض عليه جنود الرومان لهذا السبب فى نظرهم وقتلوه صلبا ، وبنفى القرآن الكريم لهذه التهم اليهودية الزائفة عن المسيح ، وبتقريره أن المسيح قد أرسله الله إلى قومه ليصحح لهم ما حرفوه وبدلوه فى كلام الله فى التوراة ، وفى تطبيقهم للشريعة الموسوية وفقا لأهوائهم يكون القرآن الكريم كتابا سماويا صحيح النسبة إلى الله وفقا لهذا المقياس أو المعيار الذى يقيس صحة نسبة أى كتاب مقدس إلى الله سبحانه وتعالى ، وهو المقياس المستمد من

العهد الجديد فى الموضع المشار إليه ، وحيث إن سيدنا محمدا -صلى الله عليه وسلم- يقرر أن المسيح هو سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام يكون نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم نبيا صادق النبوة وفقا لهذا المقياس أو المعيار . ولا يهم ما إذا كان النصارى يعتبرون المسيح إلها ويعتبره المسلمون نبيا ورسولا من أنبياء الله ورسله ، ولايهم كيفية إنقاذ الله للمسيح من محاولة أعدائه أن يقتلوه، المهم أن الله قد أنقذه فلم يقتلوه صلبا كما يزعم اليهود .

المهم هو أن القرآن الكريم ، وأن نبى الإسلام ﷺ يقرران أولاً : أن المسيح قد جاء ، ويقرران ثانيا : أن المسيح هو سيدنا عيسى ابن مريم -عليه السلام - ووفقا للمقياس أو المعيار الذى أشرنا إليه يتضح ويثبت أن القرآن الكريم كتاب سماوى صحيح النسبة إلى الله، وأن نبى الإسلام نبى صادق النبوة وليس من الأنبياء الكذبة كما أشار إلى ذلك المقياس أو المعيار المستمد من رسالة يوحنا الأولى فى الموضع المشار إليه .

المعيار الثانى لصدق الوحى الإلهى

نستمد المعيار الثانى لصدق الوحى الإلهى من القرآن الكريم فى قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾ [**النساء** : ٨٢] .

ومعنى ذلك ببساطة ووضوح هو : أن أى كلام ينسبه أحد إلى الله ويدعى أنه كلام الله ونكتشف فى هذا الكلام تناقضا أو اختلافا يكون هذا الكلام معدوم الصلة بالله ويكون الادعاء بأنه كلام الله ادعاء كاذبا .

ولو طبقنا هذا المعيار أو المقياس المستمد من القرآن الكريم فى الموضع المشار إليه على التوراة والأناجيل والقرآن الكريم لوجدنا تناقضات كثيرة فى التوراة والأناجيل بينما لا نجد أى تناقض فى القرآن الكريم .

ويعترف أصحاب التوراة والأناجيل أنفسهم بوجود آلاف الأخطاء الناجمة عن وجود التناقض فى الكلام الموجود بالتوراة والأناجيل فيما بين أنفسهم وإن حاولوا إنكارها أو حاولوا البرهنة على أنها تناقضات ظاهرية ، وليست تناقضات حقيقية أمام غيرهم .

ولكنها موجودة بأعداد كبيرة لاحصر لها ، وتفاصيل بيانها -وهى بالآلاف- وبيان أوجه التناقض فيها يستغرق مجلدات كبيرة الحجم .

المعيار الثالث لصدق الوحى الإلهى

يقدم لنا الدكتور موريس بوكاى فى كتابه «التوراة والإنجيل والقرآن الكريم والعلم» المقياس الثالث لاختبار مدى صدق الوحى الإلهى عندما يجعل حقائق العلم مقياسا لصحة الكلام المنسوب إلى الله سبحانه وتعالى ، بمعنى أن الكتاب السماوى الذى يناقض كلامه حقائق العلم غير صحيح النسبة إلى الله أو تَمّ إقحام كلام بشر على كلام الله الموجود بهذا الكتاب المقدس ، أو ذاك الذى يتناقض الكلام فيه مع الحقائق العلمية الصحيحة . أما الكتاب السماوى الذى يتسق الكلام فيه مع الحقائق العلمية فهذا دليل على صحة نسبته إلى الله سبحانه وتعالى .

وإذا كنا قد عرضنا بشىء من التفصيل لمعيارين يمكن أن نقيس بهما مدى الصدق فى وجود كلام الله بحق فى الكتب المقدسة ، فإننا ندع للدكتور موريس بوكاى أن يطبق معيار الحقائق العلمية لاختبار مدى الصدق فى الكتب المقدسة وهى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم .

وسنكتفى بترجمة كتاب الدكتور موريس بوكاى فى هذا الصدد . وإذا تحتم علينا أن نضيف أى ملاحظات فلن نقحمها بأى حال على كلام الدكتور موريس بوكاى ، بل سنضعها كملاحظات بالهامش السفلى ونضع بجوارها كلمة «المترجم» بين القوسين هكذا (المترجم) تمييزا لها عن أى ملاحظات ربما يكون المؤلف قد أوردها بالهامش السفلى بنفسه . وحيث إننا نترجم هذا الكتاب عن اللغة الإنجليزية التى شارك فى صياغتها الدكتور موريس بوكاى بنفسه وأقرها ، فإننا سنضع أحيانا ما نراه ضروريا من مصطلحات إنجليزية قرين ترجمتها كلما عَنَّ لنا أن هذا ضرورى لأمانة الترجمة خصوصا عندما لا يكون المقابل العربى لكلمة ما أو تعبير ما غير كاف لإيضاح دلالته بالدقة اللازمة .

وهكذا ، يمكن لنا أن نمضى إلى ترجمة كتاب الدكتور موريس بوكاى عن: التوراة والإنجيل والقرآن الكريم فى ضوء حقائق العلم ، والله ولى التوفيق،

المترجم : على الجوهرى

مقدمة المؤلف

لكل دين من أديان التوحيد الثلاثة كتابه المقدس الخاص به يحوى النصوص المقدسة لدى أتباع هذا الدين أو ذاك . وتشكل هذه النصوص المقدسة لدى المؤمنين من اليهود أو المسيحيين أو المسلمين أساس العقيدة . إن هذه النصوص المقدسة بالنسبة إليهم إنما هى التسجيل المادى لوحى الله Divine Revelation سواء كان ذلك الوحى الإلهى منزلا بشكل مباشر Directiy كما هو الشأن بالنسبة إلى سيدنا إبراهيم- عليه السلام- وسيدنا موسى -عليه السلام - اللذين تلقيا الوصايا The Commandments من الله نفسه ، أو كان ذلك الوحى الإلهى غير مباشر Indirectiy كما فى حالة المسيح- عليه السلام- وحالة سيدنا محمد ﷺ ؛ إذ أعلن المسيح عليه السلام أنه كان يتكلم باسم الأب The Father وأوصل سيدنا محمد[١] ﷺ إلى الناس كلام الله The Revela-tion الذى نقله إليه الملاك جبريل[٢] Archangel Gabriel .

ولو أننا أخذنا فى اعتبارنا الحقائق الموضوعية فى تاريخ الأديان لوجب علينا أن نعتبر العهد القديم The old Testament والأناجيل The Gospels والقرآن الكريم The Qur`an على مستوى واحد من حيث إن كلا منها عبارة عن تسجيلات للوحى المكتوب Collections of Writtene Rev-elations ورغم أن هذا الاعتبار يتبناه المسلمون من حيث المبدأ[٣] نجد أن المؤمنين بوجود الله فى الغرب تحت تأثير الأفكار المسبقة للنفوذ اليهودى والمسيحى يرفضون أن يعتبروا القرآن الكريم وَحْيًا إلهيا حقيقيا .

وهذا الرأى الذى يتخذه أصحاب كل دين من هذه الأديان يمكن أن يتضح من الموقف الذى يتخذه فى الواقع الفعلى أصحاب كل دين من أصحاب الدين الآخر فيما يتعلق بشأن الكتب المقدسة[٤] .

---

(١) القرآن الكريم كما أوحاه الله إلى سيدنا محمد ﷺ موجود فى لغته الأصلية وهى اللغة العربية ، وهى لغة حية يتكلمها كثير من شعوب الأرض حتى اليوم ، أما الإنجيل الذى أنزله الله على سيدنا عيسى -عليه السلام- فهو غير موجود . لا يوجد إنجيل اسمه إنجيل عيسى أو الإنجيل وفقا لرواية عيسى ، وكل الموجود هو أناجيل منسوبة إلى أشخاص آخرين غير المسيح مثل : متى ولوقا ومرقس ويوحنا وبولس وغيرهم . (المترجم) .

(٢) انظر مقدمة المترجم بصدر هذا الكتاب وتعريفنا للوحى الإلهى الشرعى الواضح الجلى . ويلاحظ أن وجهة نظر المؤلف فيها تجاوز عن أن القرآن الكريم ذاته ينسب إلى التوراة بحالتها الراهنة أنها ليست هى النص الأصلى للتوراة كما أنزلها الله على سيدنا موسى عليه السلام ، وأن الإنجيل كما أنزله الله على سيدنا عيسى عليه السلام غير موجود والأناجيل الموجودة بحالتها الراهنة نجد أن كلا منها منسوب إلى شخص كاتبه وليس إلى سيدنا عيسى . (المترجم) .

(٣) تقتضى منا الدقة والأمانة أن نشير إلى أن المسلمين يعترفون بأن الله قد أنزل التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب المقدسة على أنبياء قبل الإسلام ولكن التوراة والأناجيل بحالتها الراهنة ليست هى بالضبط كما أنزلها الله . (المترجم) .

(٤) بينما يحدد القرآن الكريم الأسباب الموضوعية لتحريف كلام الله فى الكتب السماوية السابقة زمنيا على الإسلام، نجد أن اليهود والمسيحيين يوجهون الاتهام الزائف بصور متعددة إلى القرآن الكريم وإلى نبى الإسلام ﷺ حيث يتهمونه بأن كذاب ولص نياق وكاردينال مسيحى لم يصل إلى كرسى البابوية ، فاخترع دينا نشره بالسيف والقتل وغير ذلك دون دليل !!! (المترجم)

وللديانة اليهودية كتابها المقدس المكتوب باللغة العبرية The Hebraic Bible وهذا الكتاب المقدس المكتوب باللغة العبرية لدى اليهود يختلف عن العهد القديم The Old Testament الموجود لدى النصارى من حيث إن العهد القديم الموجود لدى النصارى يشتمل على أسفار ليست موجودة فى التوراة المكتوبة باللغة العبرية In Hebrew . ولا يكاد هذا الاختلاف من الناحية العلمية يسبب أى اختلاف[١] بالنظر إلى العقيدة . والديانة اليهودية على أى حال لا تعترف بصحة أى وحى إلهى تال للوحى الإلهى الموجود فى توراة اليهود.

ولقد أخذت المسيحية Christionity التوراة المكتوبة باللغة العبرية ككتاب مقدس لديها، وأضافت إليه[٢] بعض الإضافات القليلة A Few Supplements ولكن المسيحية على كل حال لم تقبل كل الكتابات والأناجيل التى كُرِّست لتعريف الناس برسالة المسيح The Mission of Jeasus فلقد استبعدت الكنيسة The Church بشكل حاسم كثيرا من الأناجيل[٣] التى كانت تحكى قصص حياة وتعاليم السيد المسيح . واستبقت الكنيسة عددا محدودا من الأناجيل المكتوبة بالعهد الجديد The New Testament وأهمها هى الأناجيل الأربعة المعتمدة [٤] . ولاتعترف المسيحية أى اعتراف بوجود أى وَحْيٍ إلهى بعد المسيح ورسل المسيح His Apostles والمسيحية على هذا النحو لا تعْترف بمصداقية القرآن الكريم[٥] ولاتعترف بأن القرآن الكريم كتاب سماوى أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ .

ولقد بدأ نزول الوحى الإلهى The Quranic Revelation بالقرآن الكريم فى تاريخ البشرية بعد حوالى ستة قرون من ميلاد المسيح عليه السلام .

والقرآن الكريم يقدم معلومات وأخباراً كثيرة موجودة فى التوراة العبرية والأناجيل حيث يقتبس كثيرا[٦] من التوراة The Torah والأناجيل The Gospeles والقرآن الكريم يوصى كل مسلم

(١) كيف يمكن تصوُّر معقولية وجود أسفار بكاملها بالعهد القديم غير موجودة فى التوراة العبرية دون أن يسبب ذلك اختلافا من حيث العقيدة ؟ وما هى أسباب الاختلاف الكبير بين اليهودية والمسيحية ؟ هذه الوجهة من النظر للمؤلف تبدو غريبة وغير معقولة . (المترجم) .

(٢) يستحيل أن يمر هذا المسلك من جانب المسيحية مرور الكرام . كيف تأخذ ديانة الكتاب المقدس لديانة أخرى ؟ ومن الذى أضاف إليه ؟ هذه اعتبارات شرحها يطول . ونكتفى فحسب بتسجيل غرابة المسلك . (المترجم)

(٣) يشير المؤلف بذلك إلى الأناجيل التى يعتبرها المسيحيون أناجيل محرفة كتبها هراطقة ومخرفون منشقون على التعاليم الحقيقية للمسيح ويطلقون على هذه الأناجيل اسم الأبوكريفا Apocrypha مثل إنجيل برنابا وإنجيل الطفولة وغيرهما . (المترجم) .

(٤) هى إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا . (المترجم) .

(٥) اعتراف اليهودية أو المسيحية بصحة نبوة سيدنا محمد ﷺ وبأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وبمصداقية القرآن الكريم يحتم على اليهود والنصارى ترك دينهم والدخول فى الإسلام ؛ ولذلك لا يعترف كثير منهم بذلك ، ومن يعترف منهم بذلك يدخل فى الإسلام . (المترجم) .

(٦) استخدام المؤلف تعبير «يقتبس كثيرا It quotes very frequently » قد يكون مضللا مفضيا إلى شىء من سوء الفهم . إن مصدر وهدف الكتب السماوية واحد . ومن الطبيعى أن يكون هذا سببا لبعض التشابه فى محتواها ، ولكن القرآن الكريم يعارض ويتهم الكتب السماوية السابقة بالتحريف فى مسائل جوهرية هامة . (المترجم) .

بالإيمان بالكتب السابقة عليه كما هو الشأن فى قول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾ [النساء : ١٣٦] . والقرآن الكريم يؤكد المكانة البارزة[١] التى يحتلها رسل الله مثل سيدنا نوح Noah وسيدنا إبراهيمAbrahim وسيدنا موسى Moses فى مسار هداية الله للبشر عن طريق الوحى الإلهى لمثل أولئك الأنبياء والرسل ، وكذلك الشأن بالنسبة إلى المسيح عليه السلام Jesus الذى يخصه المسلمون باعتبارات تقدير واحترام إضافية خاصة به من بين الأنبياء والرسل . وميلاد المسيح يُذْكر فى القرآن الكريم كما هو الشأن فى الأناجيل كحدث غير اعتيادى بالنسبة لميلاد غيره من البشر ، ويخص القرآن الكريم بالذكر أيضا العذراء مريم ويطلق على السورة التاسعة عشرة اسم مريم .

والحقائق المتعلقة بالإسلام التى ذكرناها أعلاه فيم سبق ليست معروفة على نطاق واسع فى الغرب . وليس عجيبا هذا الجهل بحقائق الإسلام عندما نضع فى اعتبارنا الطريقة التى تعلم بها أبناء الغرب طوال أجيال كثيرة متتالية بشأن المشاكل الدينية الموجودة فى العالم مما يهدد الإنسانية مع الحرص على إبقاء أبناء الغرب فى جهل تام حتى اليوم فيما يتعلق بحقائق الإسلام . إن استخدام الغرب لمصطلحات مثل : «الديانة المحمدية Mohammedan Religion" أو «المحمديون» Mohammedans إنما كان أداة لتحقيق انطباعات زائفة خاطئة موحية أن العقائد الدينية التى تدل عليها مصطلحات مثل مصطلح «الديانة المحمدية»[٢] الذى ذاع إلى حد كبير بفعل البشر على نحو كان يستحيل معه أن يكون لله God وفقا للتصور المسيحى أى وجود . إن كثيرا من الناس المثقفين فى الغرب اليوم ربما يكون بعضهم شغوفين بدراسة النواحى الفلسفية أو الاجتماعية أو السياسية فى الإسلام ، وليس لديهم شغف أو اهتمام بدراسة القرآن كوحى[٣] إلهى منزل إلى نبى الإسلام كما يجب أن يفعلوا .

---

(١) يفوق رفع منزلة المسيح والاعتراف بمولده بطريقة إعجازية فى القرآن الكريم ماهو موجود بالأناجيل فى هذا الصدد . القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر يثبت للمسيح معجزة الكلام فى المهد بينما يجعل إنجيل يوحنا أول معجزات المسيح هى تحويله الماء إلى خمر فى حفل عرس فى قانا بالجليل . وبينما يذيع اليهود أن المسيح ابن زنا ويتهمونه بالتجديف على الله وادعاء الألوهية والشغب السياسى ضد الرومان مما أفضى إلى القبض عليه ومحاولة قتله صلبا ، نجد أن القرآن الكريم يهتم أكثر من الأناجيل بتبرئة المسيح من هذه التهم اليهودية الزائفة ويرفع شأن المسيح وأمه ويطهرهما . (المترجم) .

(٢) يدأب رجال الدين المسيحيون على تشويه العقيدة الإسلامية لينفر منها الناس ولايحاولوا الاقتراب من فهم الإسلام الصحيح . واستخدام مصطلح «الديانة المحمدية» بدلا من «الدين الإسلامى» يعطى الانطباع الخاطئ بأن المسلمين يعبدون «محمدا» ولايعبدون المسيح (المترجم) .

(٣) يحرص رجال الدين المسيحى فى الغرب على ترديد مقولة أن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم قد كتب القرآن بتقليد واستعارة الأفكار من التوراة والإنجيل وذلك ليصرفوا أتباعهم عن دراسة أو مجرد الاقتراب من دراسة القرآن الكريم وذلك على الرغم من استحالة صدقهم فى هذه الفرية لأسباب كثيرة .(المترجم).

لكم يحظى المسلمون بالاحتقار فى دوائر معينة من الدوائر المسيحية ! لقد خبرت بنفسى هذه الحقيقة عندما حاولت عمل دراسة مقارنة حول عدد من الأخبار المذكورة فى القرآن الكريم وفى التوراة فى آن واحد . ولاحظت أن بعض الدوائر المسيحية ترفض رفضا باتا النظر بعين الاعتبار إلى ما يقوله القرآن الكريم عن الحدث موضوع الدراسة والمقارنة ولو لمجرد التأمل والدراسة والمقارنة كما لو كان الرجوع إلى ما يقوله القرآن الكريم هو الرجوع إلى الشيطان الرجيم !

ومع ذلك يبدو ويلاحظ أن هنالك تغيرا جذريا فى أيامنا الراهنة فى هذا الصدد لدى أعلى مستويات العالم المسيحى[١] . لقد أصدر مكتب شئون غير المسيحيين بالفاتيكان The Office of Non Christian Affairs at vatican وثيقة صادرة عن المؤتمر الثانى للفاتيكان Second Vatican Council وتحمل هذه الوثيقة عنوانا باللغة الفرنسية هو : Orientations pour un dialogue entre Chr'etiens et Musulmans أى :«التوجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين» .

والطبعة الثالثة المحررة باللغة الفرنسية والصادرة فى عام ١٩٧٠تشهد بعمق التحول فى المواقف الرسمية . ولقد دعت وثيقة الفاتيكان إلى التخلى عن «الصورة البالية الموروثة عن الماضى ، أو المنبثقة عن الأحكام المسبقة والأكاذيب البذيئة المتعمدة» .

"The out-dated image inherited from the past or distorted by prejudice and slander" .

وهى تلك الصورة الموجودة لدى المسيحيين عن الإسلام . وجاء بالوثيقة ما يلى بالحرف الواحد :«إن الفاتيكان ينظر بعين الاعتبار إلى الظلم والتجنى الذى كان موجودا فى الماضى نحو المسلمين ، وهو الظلم الذى يستحق الغرب ونظم التعليم المسيحى فيه اللوم» . وتنتقد الوثيقة أيضا التصورات الخاطئة لدى المسيحيين عندما يعتبرون المسلمين قوما يتمسكون بالتواكلية[٢] Fatalism والتمسك بحرفية نصوص عدوانية مع التعصب الشديد Fanaticism وغير ذلك من مثالب . إن الوثيقة تركز على فكرة وحدانية الله[٣] The Belief of Unity of God ولقد أشارت الوثيقة إلى مدى دهشة

---

(١) يلاحظ أن محاولات إقامة حوار من الجانب المسيحى مع المسلمين تهدف إلى تجاوز المسيحيين ومرونتهم فيما يتعلق ببعض الشكليات فى مقابل تمرير المسائل المتعلقة بالخلافات العقائدية بين المسيحية والإسلام .(المترجم).

(٢) التواكلية Fatalism غير التوكل على الله . والتواكلية تعنى السلبية وانعدام قدرة الإنسان على كسب الأفعال ، والتكاسل بالتالى عن السعى والنشاط فى الحياة ، والاستسلام للقضاء والقدر دون بذل الجهد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، ودون سعى نحو التقدم والرقى. والإسلام يقول : «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم» ولايدعو إلى التواكل فى حقيقة الأمر ، ولكن التواكل من التهم الزائفة التى يتهم الإسلام بها .(المترجم) .

(٣) ينبغى الحذر الشديد فى هذا الصدد. ليس معنى أن اليهودية والمسيحية والإسلام أديان توحيد لله هو التساوى والتطابق التام بين هذه الأديان فى هذا الصدد . إن توحيد الله فى الإسلام خال تماما من الشوائب ، وهو يتمثل فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝١ اللهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] ليس التوحيد فى الإسلام هو هو ذات التوحيد فى أى دين آخر ، ومحاولة أى دين الادعاء بأنه دين توحيد مثل الإسلام فيه مغالطة خطيرة عندما تفضى إلى إزالة الفروق فى معنى وأسس التوحيد وكيفيته ومقوماته الأساسية التى يرتكز عليها هل أنت موحد بالله؟ نعم . ما هى شواهد توحيد الله لديك؟ (المترجم)

المستمعين وإعجابهم حين أعلن الكاردينال كُونينج Cardinal Koening فكرة وحدانية الله هذه فى رحاب جامعة الأزهر بالقاهرة وبالجامع الأزهر أثناء مؤتمر رسمى فى شهر مارس عام ١٩٦٩ . وأشارت الوثيقة أيضا إلى أن سكرتارية الفاتيكان قد دعت المسيحيين منذ عام ١٩٦٧ إلى تقديم التهانى إلى المسلمين فى عيد الفطر بمناسبة انتهائهم من صوم شهر رمضان الذى يعتبر قيمة من القيم الدينية الرفيعة المستوى "with genuine religious worth" .

مثل هذه الخطوات التمهيدية نحو علاقة أكثر تقاربا بين الهيئة البابوية والإسلام قد جاءت بعدها فرص كثيرة للقاء والتقارب بين الجانبين . وبالرغم من ذلك كان هنالك صدى ضئيل وقليل وشاحب[1] فى الإعلام بهذه الأحداث ذات الأهمية العظمى فى عالم الغرب . إن عددا قليلا من الناس فى الغرب هم الذين عرفوا هذه الأحداث على الرغم من كثرة وشدة فعالية وسائل النشر والإعلام مثل الصحافة والإذاعة والتلفاز فهى لم تحفل ولم تهتم الاهتمام المناسب بهذه الأحداث الهامة .

ولم تكرس الصحف أيضا الاهتمام اللائق بتلك الزيارة الرسمية التى قام بها الكاردينال بنيودولىCardinal Pignedoly رئيس سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين إلى جلالة الملك فيصل ، ملك المملكة العربية السعودية فى الرابع والعشرين من شهر أبريل عام ١٩٧٤ ، ولم تعلق جريدة «لوموند Le Monde" الفرنسية مثلا على هذه الزيارة إلا تعليقا وجيزا فى سطور قلائل فى عددها الصادر فى ٢٥ أبريل عام ١٩٧٤ على الرغم من أهمية دلالة مثل هذا الحدث خاصة عندما نعلم أن الكاردينال بنيودولى قد قام بتسليم الملك السعودى فيصل –رحمة الله عايه – رسالة من البابا بولس السادس تعبيرا عن إيمان البابا العميق بوحدة العالم الإسلامى والعالم المسيحى واتحادهما فى عبادة إله واحد مع تعبير قداسة البابا عن تقديره لجلالة الملك فيصل باعتبار أن جلالته هو الشخصية ذات المقام الأعلى فى العالم الإسلامى .

وبعد ذلك بمدة وجيزة لا تتجاوز ستة شهور وعلى وجه التحديد فى شهر أكتوبر عام ١٩٧٤ ، استقبل البابا رسميا فى الفاتيكان وفدا رفيع المستوى من كبار علماء الدين فى المملكة العربية السعودية مما أفسح المجال لإدارة ندوة بين المسيحيين والمسلمين كان موضوعها هو :«حقوق

---

(١) لعل مرجع ذلك إلى انعدام اهتمام المواطنين فى الغرب بالاعتبارات الدينية بوجه عام وانهماك المواطنين فى الغرب فى مناشطهم الدنيوية فى مجالات الزراعة والصناعة والتجارة ، وكأنما حياتهم الدنيا هى شاغلهم الأوحد . وإذا كانت الكنيسة بحاجة إلى تبرعات فلتأخذ الكنيسة ما تشاء من تبرعات . هذا على النقيض من شديد اهتمام المواطنين فى الدول الإسلامية بالاعتبارات الدينية . ولذلك لا تجد الكنيسة ما تخشاه لو تقاربت مع الإسلام حيث إن شعب الكنيسة لا يهتم بالاعتبارات الدينية كلها فى الغالب الأعم . وتحاول الكنيسة الكسب الأدبى والنفاذ والاختراق فى المجتمعات الإسلامية . (المترجم) .

الإنسان[1] الثقافية فى الإسلام» . وكتبت جريدة «أوبزفاتورى رومانو» ، وهى جريدة الفاتيكان الرسمية عن هذا الحدث التاريخى الهام فى صدر الصفحة الأولى من العدد الصادر بتاريخ ٢٦ أكتوبر ١٩٧٤ مكرسة لهذا الحدث مكانا أكبر من المكان الذى كتبت فيه عن اليوم الختامى لمجمع الأساقفة المنعقد فى روما فى ذات اليوم .

وبعد ذلك بقليل استقبل المجمع المسكونى الأعلى للكنائس فى مدينة چنيف فى سويسرا كبار علماء الدين بالمملكة العربية السعودية تحت رعاية الأسقف إلشينجر Elchinger أسقف ستراسبورج. ودعا الأسقف إلشينجر العلماء السعوديين إلى القيام بأداء فريضة صلاة الظهر أمامه داخل الكاتدرائية . وربما كان دافع الصحف للكتابة عن هذا الحدث هو الجانب الاستعراضى فيه ، وليس هو الدلالة الدينية المهمة لمثل هذا الحدث المهم . ولقد اتضح لى بالفعل عندما سألت الناس عن معلوماتهم بشأن هذا الحدث أن عدداً قليلا للغاية قد علموا بوقوع هذا الحدث أصلا .

ولا ريب فى أن تاريخ العلاقات بين هذين الدينين سيسجل بدء الانفتاح المسيحى على الإسلام، وهو ما عبر عنه البابا بولس السادس فى تصريحه المهم عن «إيمانه العميق بوحدة العالمين الإسلامى والمسيحى من حيث إن كلا منهما يعبد إلها واحدا» . ولقد رأيت أنه من الأهمية بمكان أن أشير إلى مشاعر رئيس الكنيسة الكاثوليكية نحو المسلمين على هذا النحو الجديد الودى. إن كثيرا من المسيحيين الذين تربوا منذ زمن طويل فى ظل روح عدائية مسرفة فى العداء الواضح ، وهو الأمر الذى انتقدته وأسفت له الوثيقة الصادرة عن الفاتيكان التى سبق أن أشرنا إليها ، هؤلاء المسيحيون هم أعداء كل تأمل ، أو فحص ، أو دراسة أو اطلاع على حقائق الإسلام وعقائده دون تحريف أو تزييف أو تشويه . إنهم بذلك ولذلك يظلون فى جهل مطبق يحول بينهم وبين فهم حقائق الإسلام ، وبالتالى تظل مفاهيمهم عن الإسلام مفاهيم غير صحيحة وغير مطابقة للحقائق دون ريب فى ذلك .

وبالرغم من كل شىء ، فمن الواجب علينا عندما ندرس جانبا من جوانب الشرائع الإلهية التى أنزلها الله إلى الناس من خلال تعاليم دين من أديان التوحيد Monotheistic Religion أن ندرس أيضا ما يقدمه الدينان الآخران فى نفس الموضوع . إن الدراسة الشاملة التى تدرس كل ما يتعلق بموضوع الدراسة أكثر أهمية ، وأكثر جدوى من أن ندرس الموضوع من وجهة نظر واحدة. إن المواجهة بين حقائق العلم فى القرن العشرين ، وبين معطيات الكتب المقدسة فى ذات الموضوعات تتصل بالأديان الثلاثة ، ولا تخص دينا واحدا من هذه الأديان الثلاثة . ونظرا لما يتهدد

(١) ترحب الدوائر المسيحية ببحث ودراسة الموضوعات بعيدة الصلة بأسس العقيدة الدينية وتركز على الاعتبارات والمسائل الأخلاقية والإنسانية والحضارية والسياسية وحقوق المرأة . ولابأس فى ذلك بطبيعة الحال .(المترجم) .

الأديان الثلاثة من طغيان المادية The onslaught of materialism أليس من الضرورى أن تتعاون هذه الأديان الثلاثة فى جبهة واحدة ؟ إن مقولة: إن الدين والعلم متناقضان لا يتفقان ولا يتلاقيان معا تُواجِهُ وتُهَدِّدُ المجتمعات اليهودية والمسيحية والإسلامية على قَدَم المساواة ، خصوصا فى دوائر العلماء المشتغلين بالعلوم الطبيعية والعلوم الوضعية . إن هذه المشكلة عندما نعالجها معالجة شاملة تتطلب تطويرا هاما فى أسلوب معالجتنا لها، ولكننى سأكتفى بأن أعالج جانبا واحدا من جوانب هذه المشكلة،وهو جانب ينحصر فى دراسة الكتب المقدسة ذاتها فى ضوء المعارف العلمية الحديثة.

وقبل أن نشرع فى عملنا هذا يجب علينا مواجهة سؤال أساسى هو : مامدى مصداقية النصوص الموجودة بين أيدينا اليوم ؟ How authentic are today's texts? وهو سؤال يستلزم منا فَحْصَ الظروف المحيطة بصياغة وإنشاء هذه النصوص والطريقة التى أنزلها الله بها إلينا .

إن الدراسة النقدية للنصوص المقدسة فى الغرب إنما هى دراسة جديدة كل الجدة ، ومستحدثة منذ سنوات قليلة . لقد كان الناس فى الغرب على مدار مئات السنين يتقبلون نصوص الكتاب المقدس بعهديه : القديم والجديد بحالتها كما هى دون شك أو فحص أو تمحيص . ولم تكن قراءة نصوص العهد القديم أو العهد الجديد تثير فى النفوس شيئا سوى استحسانها وكَيْلَ المديح لها. ولقد كان توجيه أى نَقْد لهذه النصوص يُعتَبَر خطيئة من الخطايا الكبرى . كان القساوسة هم الذين يحتكرون لأنفسهم[1] ميزة القدرة على الوصول إلى فهم وإدراك معانى نصوص الكتاب المقدس ، بينما غالبية شعب الكنيسة كانت تكتفى فقط بسماع قراءات لفقرات مختارة عند ممارسة بعض الصلوات أو الطقوس الدينية فى المناسبات والأعياد الدينية خلال المواعظ التى يلقيها على مسامعهم القساوسة . أى أنه كان من الضرورى لعامة الناس أن يسمعوا أو يقرءوا بعض نصوص الكتاب المقدس ويؤمنوا بأنها كلام الرب ، ولم يكن من الضرورى أن يفهموا إذ يكفى أن القساوسة والأحبار يفهمون . ومن التعبيرات الشائعة المأثورة بهذا الصدد قولهم : (آمِنْ أوّلاً ثم افهم ثانيا) .

وبعد أن أصبح نقد النصوص علما لدى ذوى الاختصاص فيه ؛ فلقد ساعد هذا العلم المتخصص فى نقد النصوص على الكشف عن مشاكل هامة وخطيرة لابد من بحثها فى كثير من الأحيان . غير أننا لابد أن نصاب بخيبة أمل كبيرة عندما نقرأ كتبا كثيرة تزعم أنها مكرسة لنقد نصوص الكتب المقدسة ، ثم لا نجد بها سوى إبراز المحاسنِ وإزجاء المديح لمحتويات وأفكار هذه

(١) كان احتكار فهم كلام الله فى التوراة لدى أحبار اليهود احتكارا تاما وكذلك لدى قساوسة المسيحية . وكانوا يحرمون على أى شخص لا ينتمى إلى سلك رجال الدين - أحبارا وقساوسة -محاولة تفسير أى نص بالتوراة أو الأناجيل . وساعد على إحكام السيطرة الكهنوتية فى مجال فهم وتفسير كلام الكتاب المقدس أن النصوص الدينية كانت مكتوبة فى لغات ميتة انقطعت صلة غالبية الناس بها . وكان رجال الدين اليهودى والمسيحى يزعمون أنهم وحدهم هم المتصلون والمطلعون على النصوص الأصلية التى تتضمن الحقائق ، والترجمة لم تكن تغنى عن النصوص الأصلية . لهذه الأسباب ولغيرها احتكروا الفهم .(المترجم) .

النصوص بالكتاب المقدس مع الاعتذار فى مواجهة المشاكل الحقيقية ، ومحاولة المؤلف مداراة الخطأ وستره منعا للحرج . وفى مثل هذه الظروف تظل المتناقضات والاعتبارات غير المعقولة دون حل أمام كل من يريد الاحتفاظ بالمعقولية والنظرة الموضوعية للمشاكل . وإن الإنسان ليأسف حقا لهذا الموقف الذى يظل فيه الإنسان مؤمنا بصدق نصوص معينة من الكتاب المقدس بالرغم من أنها مليئة[١] بالأخطاء .

إن هذا الموقف يمكن له أن يُحْدِثَ آثارا مدمرة للعقول المتحضرة فيما يتعلق بعقائد الإيمان بالله . ومع ذلك نجد أن الواقع الفعلى فى الظروف الراهنة يطلعنا على أن قليلا من الناس ذوى العقول المتحررة ، والقدرة على الاطلاع على النصوص المقدسة وهم القادرون على كشف هذه المشاكل والتناقضات عددهم قليل بينما يظل غالبية المسيحيين فى عزلة وجهالة تامة فيما يتعلق بشأن وجود هذه التناقضات بين الكتاب المقدس وحقائق علومهم التى يثقون بصحتها تمام الثقة فى الغالب الأعم .

ولو أننا انتقلنا لدراسة هذا الشأن بالنسبة إلى الإسلام نجد أن فى الإسلام شأنا مماثلا للمشكلة المتعلقة بالإنجيل إلى حد ما بالنسبة إلى بعض الأحاديث النبوية[٢] الشريفة . والأحاديث النبوية الشريفة The Hadiths هى الأقوال المأثورة عن سيدنا محمد ﷺ والقصص التى تحكى عن أفعاله وتصرفاته فى بعض المواقف إزاء[٣] بعض المسائل . وليس شأن الأناجيل مختلفا عن شأن هذه الأحاديث[٤] بالنسبة لسيدنا -عيسى عليه السلام - . إن بعض الأحاديث النبوية الشريفة قد كتبت بعد حقب عديدة من وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بالضبط كما كتبت الأناجيل[٥] بعد حقب عديدة من انقضاء شأن المسيح - عليه السلام - مع قومه . إن الأحاديث النبوية الشريفة

(١) كلام الله بحق الموحى بصدق إلى أى من أنبياء الله ورسله يستحيل أن يوجد فيه أى خطأ أو تناقض . ولكن كلام البشر هو الذى يحتمل الصدق أو الكذب ويحتمل الصواب والخطأ . (المترجم) .

(٢) الوضع والشأن بالنسبة إلى القرآن الكريم غير الوضع والشأن بالنسبة إلى الأحاديث النبوية الشريفة . القرآن كلام الله والأحاديث النبوية الشريفة كلام النبى ولاخلط بينهما كما هو الشأن بالنسبة إلى الإنجيل الذى يختلط فيه كلام الله بكلام هذا النبى أو ذاك الرسول بكلام هذا الكاتب أو المؤرخ أو كاتب السيرة . أما القرآن الكريم من أوله إلى آخره بكل سوره وآياته فهو كلام الله أوحاه إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ . وشرط الوحى الإلهى أن الله هو مصدر الكلام . انظر مقدمتنا لهذه الترجمة (المترجم) .

(٣) لما كانت هذه الأحاديث النبوية الشريفة تروى بعد وفاة النبى ﷺ عن طريق رواة كثيرين نشأ احتمال صدق أو كذب بعض رواة الحديث عن قصد وتعمُّد أو بغير قصد وتعمُّد ، وكان من الطبيعى أن تنشأ فى الإسلام علوم الحديث النبوى الشريف لتمحيص الصحيح فى هذا الأحاديث وفصله عن الكاذب أو المدسوس أو الموضوع ، ويظل القرآن الكريم بمنأى ومعزل عن مباحث علم الحديث إذ لا يتطرق إلى مصداقيته لدى المسلمين أو غيرهم أى شك من حيث إن مصدره هو الله وحده لا شريك له ولاتناقض فيه ، ولاتناقض بينه وبين حقائق العلم .(المترجم) .

(٤) ليت أصحاب الأناجيل يجعلون شأنها شأن الأحاديث النبوية ولايجعلون شأنها كشأن القرآن الكريم وإنهم يعتبرونها كلام الله . (المترجم) .

(٥) من المعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم قد نهى المسلمين عن تدوين أحاديثه كتابيا حتى يختلط شىء منها بالقرآن الكريم لا يظن أحد أن شيئا من الأحاديث النبوية الشريفة المكتوبة هى شىء من القرآن الكريم . ولم يزعم أحد من المسلمين إطلاقا أن أى حديث نبوى شريف إنما هو من كلام الله إلا ما أمر به النبى ونبه على أنه من الأحاديث القدسية . وانحصرت مشكلات تخريج الأحاديث ومباحثها فى أحاديث النبى المنسوبة إليه وليس إلى الله سبحانه وتعالى . ولكن أصحاب الأناجيل يزعمون أنها تحوى كلام الله مع أن كتابها قد كتبوها بعد انقضاء شأن المسيح مع قومه بعشرات السنين على شكل روايات عن حياة المسيح ، فهى كلام بشر يختلط فيها كلام الله بكلام المسيح بكلام كاتب هذا الإنجيل أو تلك الرسالة من رسائل الكتاب المقدس .(المترجم) .

لدى المسلمين شأنها شأن الأناجيل من حيث إن كليهما شهادة بشرية human witness على أقوال وأحداث وقعت فى الماضى . ولسوف نشهد كيف أنه على النقيض مما يعتقده كثير من الناس لم يكن مؤلفو الأناجيل الأربعة المعترف بها The authors of the four Canonic Gospels شهودا حاضرين للأحداث التى قاموا بالإخبار والرواية عنها . وهذه الحقيقة تنطبق أيضا على الأحاديث النبوية الشريفة[١] فى الإسلام كما سنتناولها بالدراسة فى الجزء الأخير من هذا الكتاب .

وهنا ينبغى أن تتوقف المقارنة لأنه إذا كانت مصداقية هذا الحديث النبوى الشريف أو ذاك كانت ولا تزال محل بحث ودراسة فإننا نجد أن الكنيسة قد حسمت مشكلة الكثير من الأناجيل إذ اعتبرت أن أربعة أناجيل منها فقط هى الأناجيل الرسمية أو الصحيحة ، وعلى الرغم من النقاط الكثيرة التى لم يتفقوا عليها ، أمرت الكنيسة بحذف وإلغاء باقى الأناجيل فيما عدا الأناجيل الأربعة ، ومن هنا جاء اصطلاح «الأناجيل المحرفة[٢] Apochcrypha" .

ويوجد فرق أساسى جوهرى فيما يتعلق بالنصوص المقدسة فى المسيحية والإسلام ، ويتمثل هذا الفرق الأساسى الجوهرى فى حقيقة أن المسيحية لا يوجد عندها نصوص إلهية أوحاها الله ، وتمت كتابتها كما أوحاها الله ، ولكن الإسلام عنده القرآن الذى ينطبق عليه هذا الوصف إذ تمت كتابة نصوص كلام الله كما أوحاها إلى نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام فى حياة النبى ﷺ وتحت إشرافه المباشر[٣] .

إن القرآن الكريم هو التعبير عن الوحى الإلهى الذى تلقاه ﷺ بواسطة الملاك جبريل – عليه السلام – تم تسجيله وتم حفظه عن ظهر قلب ، وكانت تلاوته مستمرة لدى المسلمين فى صلواتهم وخصوصا فى شهر رمضان حيث كان كثير من المسلمين يقومون بتلاوة كل ما أنزله الله من القرآن الكريم فى هذا الشهر ، وهى عادة عند المسلمين لا تزال موجودة حتى اليوم . ولقد رتب نبى الإسلام محمد ﷺ بنفسه كلام الله فى سُوَر القرآن الكريم المعروفة كما أمره الله بذلك، وتم جمع هذه السُّوَر القرآنية مباشرة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى لكى يتشكل منها فى عهد الخليفة عثمان (١٢–٢٤ عاما بعد وفاة النبى ﷺ) النص القرآنى الكريم الذى نعرفه اليوم[٤] .

---

(١) يلاحظ هنا بوجه عام أن المؤلف يقارن بين الأناجيل الأربعة المعترف بها لدى النصارى وبين الأحاديث النبوية الشريفة، ولم يقارن المؤلف بين هذه الأناجيل وبين القرآن الكريم .(المترجم).

(٢) يلاحظ أن القرار الكنسى الذى قضى باعتماد أربعة أناجيل وإلغاء باقى الأناجيل التى كانت تتناول قصة حياة المسيح مثل الأناجيل الأربعة إنما هو قرار أصدره بشر ، وليس أمرا أصدره الله مما يجعل حسم المسألة على هذا المستوى وفى ذلك النطاق البشرى محل جدل ونظر . (المترجم) .

(٣) المؤلف منصف ومحق وموفق فى هذه الملاحظة المتعلقة بهذا الفرق الأساسى الجوهرى بين نصوص القرآن الكريم ونصوص الأناجيل من حيث مصدر كل منها . (المترجم).

(٤) من المعروف أن كتابة نصوص القرآن الكريم لم تبدأ فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولكنها بدأت قبل عهده بسنوات كثيرة إذ كان المسلمون يكتبون أى قدر من القرآن يتم إنزاله فور نزوله . ولكن جمع هذه الأجزاء المكتوبة تم فى عهد سيدنا أبى بكر رضى الله عنه – وبقيت عنده حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم حفصة بنت عمر رضى الله عنهما حتى أخذها سيدنا عثمان وأرسل نسخا منها إلى الأمصار الكتابة شىء وجمع ما كان مكتوبا شىء آخر (المترجم).

وعلى النقيض من ذلك نجد أن الكتاب المقدس فى المسيحية يقوم أساسا على «روايات بشرية عديدة وغير مباشرة» "numerous indirect human accounts" وليس لدينا فى حقيقة الأمر رواية لشاهد عيان إبَّانَ حياة المسيح عليه السلام ، وهذه حقيقة مناقضة لما يتخيله كثير من المسيحيين وهكذا تكونت وتشكلت مسألة مدى مصداقية الكتب المقدسة لدى المسيحيين[١] والمسلمين .

ولقد كان التعارض بين محتويات الكتاب المقدس ومعطيات حقائق العلوم الوضعية الحديثة مجالا مُهِمًّا من مجالات التفكير البشرى .

ولقد ساد فى البداية الاعتقاد بأن التطابق corroboration والاتفاق والاتساق بين نصوص الكتاب المقدس وبين حقائق العلم موجود كمسألة ضرورية لازمة لمصداقية نصوص الكتاب المقدس. ولقد أرسى القديس أوغسطين Saint Augustine فى رسالته الثانية والثمانين هذا المفهوم الذى اتخذ شكل المبدأ[٢] العام Principle . وهى الرسالة التى سنورد نصها فيما بعد .

وإذ تقدمت العلوم الوضعية على كل حال أصبح من الواضح أن هنالك تناقضات dis-crepancies بين النصوص المقدسة بالإنجيل Biblical Scriptures وبين العلم Science ولقد تقرر بناء على ذلك أن المقارنة لم يعد لها لزوم. وهكذا نشأ فى يومنا هذا موقف جعلنا مضطرين أن نعترف بأن وَضْعَ رجال الدين يتناقض مع وضع العلماء إذ يناصب رجال الدين العلماء العداء . وبالرغم من كل شىء نجد أننا لا نستطيع أن نتقبل الوحى المقدس المدوّن فى الأناجيل ومعطياته التى أثبتت حقائق العلم أنها خالية تماما من الدقة والصواب Totally inaccurate ولقد كانت هنالك طريقة واحدة للتوفيق بين هاتين الوجهتين من النظر ألا وهى عدم اعتبار النص الموجود بالإنجيل المحتوى على معلومات غير صحيحة من الناحية العلمية نصًّا أصيلا صادرا عن الله gen-uine ولكن هذا الحل لم يكن حلا مقبولا لدى رجال الدين المسيحى ورفضوا القبول به . وبدلا من القبول بهذا الحل وجدنا أن رجال الدين المسيحى قد تعصبوا بشدة للاحتفاظ بتمام صحة كل

(١) يلاحظ أنه لا توافق بين طبيعة المشكلتين: إن المشكلة عند المسيحيين تختلف تماما عنها عن المسلمين ، ولقد سبق أن أشار المؤلف بنفسه إلى الفرق الأساسى الجوهرى بين القرآن الكريم والأناجيل فى الفقرة قبل السابقة ويمكن الرجوع إليها اللهم إلا إذا كان المؤلف يعقد المقارنة بين نصوص الأناجيل ونصوص الأحاديث النبوية الشريفة من حيث إن كليهما يخضع بالفعل للنقد والفحص والتمحيص لتمييز الصحيح عن غير الصحيح .هذا مفهوم مقبول أيضا ولا مغالطة فيه . ولكن المغالطة لا يمكن تجاهلها عندما تتم المقارنة بين الأناجيل والقرآن الكريم مع وجود فروق سبق أن أشار إليها المؤلف بنفسه . ويلاحظ أن المسلمين لا يجدون أى غضاضة فى احتمالية الخطأ فى نسبة حديث من الأحاديث إلى رسول الله . ولا خطأ فى الحديث الصحيح والخطأ فى الحديث المدسوس (المترجم).

(٢) استمر ذلك المبدأ سائدا طوال العصر الوسيط ، وحتى مطلع عصر النهضة فى أوربا عندما تقدمت العلوم الوضعية وثبت خطأ المعتقدات الكنسية فى مجال علم الفلك على وجه الخصوص.كانت الكنيسة تفرض على الناس معتقد أن الأرض مسطحة وأثبت علماء الفلك أن الأرض كروية الشكل . وكانت الكنيسة تفرض على الناس معتقد أن الأرض ثابتة ، لاتتحرك وأن الشمس تتحرك وأثبت كوبرنيكوس وكبلر وجاليليو أن الأرض هى التى تتحرك والشمس ثابتة ، وعبثا حاولت الكنيسة مقاومة هذه الحقائق العلمية من خلال محاكم التفتيش الشهيرة حيث قام القساوسة بتشكيل المحاكم لمحاكمة العلماء الذين أتوا بنظريات مخالفة للكتاب المقدس . وكانوا يضعون رجلا مثل جاليليو فى طنبور يدور وفيه أطراف مسامير ليقول إن الأرض ثابتة لاتتحرك ، فيقول لهم ذلك وهو داخل الطنبور وعندما كانوا يخرجونه منه كان يضرب الأرض بقدمه ويقول :«ومع ذلك فهى تدور» (المترجم).

النصوص فى الكتاب المقدس . وكان من نتيجة ذلك أن ظل مفسرو الكتاب المقدس يتبنون مواقف يستحيل على العلماء القبول بها .

والمسلمون موقفهم من القرآن الكريم شبيه بموقف القديس أوغسطين[١] من الإنجيل. إن المسلمين يعتبرون أن القرآن الكريم لا يتناقض مع حقائق العلم، والمعطيات ذات الصبغة العلمية فى القرآن الكريم لا تتناقض مع حقائق العلوم الوضعية التى أثبت العلماء صحتها بما لا يدع مجالا للشك . والفحص الدقيق بمعايير العلوم الحديثة لم يثبت بالفعل ما يستوجب تغيير موقف المسلمين كلام الله الذى أوحاه الله فى القرآن الكريم . وكما سنوضح فيما بعد نجد أن القرآن الكريم قد تضمن كثيرا جدا من الحقائق ذات الاتصال الوشيج بحقائق العلم وهى كثيرة جدا ، وهى أكثر بكثير من تلك الموجودة بالإنجيل . ولا وجه للمقارنة بين العدد الضئيل المحدود من الحقائق العلمية المذكورة فى الإنجيل مع تعارضها مع حقائق العلوم الوضعية والعدد الكبير من الحقائق العلمية الموجودة فى القرآن الكريم مع اتفاقها واتساقها مع معطيات وحقائق العلوم الوضعية . إن الحقائق ذات الصفة العلمية الموجودة بالقرآن الكريم يستحيل نقضها أو بيان أى خطأ فيها من وجهة نظر العلوم الوضعية .

"None of the latter can be contested from a scientific point of view" .

وهذه حقيقة أساسية تنبثق من دراستنا هذه لهذا الموضوع فى هذا الكتاب . ولسوف نرى أن هذا ليس هو الشأن فيما يتعلق بالأحاديث[٢] النبوية الشريفة. إن هذه الأحاديث النبوية الشريفة إنما هى مجموعات لأقوال وأحاديث النبى ﷺ تم تنحيتها وفصلها فصلا تاما حاسما عن كلام الله الذى أوحاه الله فى القرآن الكريم، ومن المؤكد أن بعض هذه الأحاديث لا يمكن القبول به[٣] من الناحية العقلية أو من الناحية العلمية ومثل هذه الأحاديث التى يتم بحث مصداقيتها قد وضعت بالفعل تحت الدراسة والتمحيص فى ضوء القرآن الكريم الذى يقرر بصراحة وبوضوح أن العلم والعقل يلزم الاعتداد بهما لو كان من الضرورى أن يتصف أى كلام بالمصداقية بمعنى أن أى كلام لا يتسق مع حقائق العلم أو مسلمات العقل تنتزع منه وتنتفى عنه المصداقية authenticity .

إن هذه الأفكار بشأن قبول أو عدم قبول بعض النصوص المقدسة المُعَيَّنة تحتاج إلى شىء من

---

(١) الفرق بين الحالتين واضح حيث أثبت العلم الحديث وجود تناقضات كثيرة بين معطيات الأناجيل وحقائق العلم بينما تتسق معطيات القرآن الكريم مع حقائق العلم . (المترجم) .

(٢) سبق أن أشرنا إلى أن المسلمين لا يجدون أى غضاضة فى دراسة وتمحيص الأحاديث المنسوبة إلى النبى ﷺ من حيث صحة أو عدم صحة صدور هذا الحديث أو ذاك عن النبى ﷺ . ومن المهم التفرقة بين الشك فى نسبة حديث معين إلى النبى ﷺ، وبين الشك أو وجود خطأ فى حديث صحيح النسبة إلى النبى ﷺ، ويحسم هذه المسألة قولة أبى بكر الصديق :«إن كان قد قال فقد صدق.» (المترجم) .

(٣) مثل هذه الأحاديث التى لا يمكن القبول بها عقليا أو علميا هى الأحاديث المدسوسة الموضوعة على النبى ﷺ لأسباب سياسية أو بسبب بعض خصوم الإسلام من أصحاب الديانات الأخرى ، وهى كثيرة تبلغ الآلاف عددا . والمصداقية والاتساق مع المعقولية وحقائق العلم هنا يتم بحثها بالنسبة إلى صدق رواة الأحاديث لا إلى الأحاديث الصادقة النسبة إلى النبى ﷺ . (المترجم) .

الإيضاح . ومن الضرورى أن نؤكد أننا عندما نشير إلى معطيات العلم Scientific Data هنا فإننا نقصد بها حقائق العلم التى استقر ثبوتها وتأكدت صحتها[1] كحقائق علمية . وهذا الاعتبار يخرج من نطاق الحقائق العلمية أى نظريات تفسيرية explanatory theories ربما تكون مفيدة أو متفقا عليها الآن لتفسير بعض الظواهر، ولكن البحث العلمى لا يزال جاريا ومتصلا بشأنها للتأكد من صحتها أو اكتشاف نظريات أخرى غيرها أقرب إلى الصواب، وأكثر قربا من مسار التقدم العلمى scientific progress إن ما أعنيه بحقائق العلم هنا هو : «الحقائق العلمية المستقرة علميا ولا جدال بين العلماء على صدقها» ، ولوكان العلم يجوز أن يقدم نظريات علمية غير مكتملة البراهين على صوابها فمن الممكن أن يصل التقدم العلمى إلى إثباتها بحيث يتلاشى الخوف من وجود خطأ فيها .

إن العلماء مثلا ليس لديهم الآن تاريخ محدد لبدء ظهور الإنسان فى الوجود على الأرض ، إلا أن العلماء قد اكتشفوا آثارا لأعمال بشرية تحدد وجود الإنسان على الأرض قبل الألف العاشرة لميلاد المسيح – عليه السلام – دون أى شك فى ذلك . وبناء على ذلك لا نستطيع علميا قبول صحة ذلك النص الموجود فى سفر التكوين الذى يعطى أنسابا وتواريخ ترجع بظهور الإنسان وخلْق آدم فى تاريخ يرجع إلى حوالى سبعة وثلاثين قرنا قبل ميلاد المسيح عليه السلام وربما يستطيع العلم فى المستقبل أن يحدد لبدء ظهور الإنسان فوق الأرض تاريخا آخر غير ما توصل إليه العلم حتى الآن ، ولكننا لا نستطيع أن نطمئن إلى أنه يمكن بأى حال إثبات أن الإنسان قد ظهر على سطح الأرض منذ ٥٧٣٦ سنة كما يقول التاريخ العبرى فى ١٩٧٥ . وبناء على ذلك تكون المعلومات المستمدّة من التوراة عن بدء ظهور الإنسان فوق سطح الأرض بالقطع غير صحيحة[2] .

إن هذا التعارض بين حقائق العلم ومقررات الدين لا دخل له ولا صلة له بالمسائل الدينية البحتة . إن العلم – على سبيل المثال – لا يعرض ولا يعترض على الطريقة التى تجلى وظهر بها الله لسيدنا موسى – عليه السلام –. ويقال نفس الشىء عن كيفية مولد المسيح عليه السلام بدون أب من البشر . والكتب المقدسة لا تعطى أى تفسير مادى لمثل هذه المسائل . إن الدراسة الحالية بين دفتى كتابنا هذا إنما هى مَعْنية بما تقوله الكتب المقدسة عن الظواهر الطبيعية البحتة التى تتعرض لها بتوسع كثير أو قليل بالوصف والتفسير. ولو وضعنا هذه الحقيقة فى اعتبارنا فسوف نلاحظ الفرق بين الكثرة والوفرة فى المعلومات حول هذه الموضوعات المشتركة التناول بين الدين والعلم فى القرآن الكريم وندرتها فى التوراة والإنجيل فى هذا الصدد .

---

(١) انظر مقدمتنا لهذه الترجمة تحت عنوان : معايير صدق الوحى الإلهى ، وعلى وجه الخصوص تحت عنوان : المعيار الثالث . (المترجم) .

(٢) إذا كان العلماء قد عثروا على أدلة ترجع بظهور الإنسان إلى عشرة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح، فكيف يمكن قبول ما تقرره التوراة من أن ظهور الإنسان على سطح الأرض إنما كان على وجه التحديد العبرى منذ(٤٥٦١) سنة؟ كيف يكون هذا صحيحا وقد وجد العلماء أدلة على ظهور الإنسان على سطح الأرض منذ عشرة آلاف سنة؟ (المترجم).

ولقد قمت بفحص ودراسة نصوص القرآن الكريم بهذا الصدد بروح موضوعية تماما وبدون أية أفكار أو أحكام مسبقة . ولقد كنت أبحث فى حقيقة الأمر عن مدى اتفاق نصوص القرآن الكريم مع معطيات العلم الحديث ولقد كنت قد عرفت من ترجمة معانى القرآن الكريم أن القرآن الكريم فيه كثير من الإشارات إلى الظواهر الطبيعية natural phenomena ولكن لم أحظ إلا بإشارة موجزة إلى ذلك . وعندما فحصت نصوص القرآن كما هى باللغة العربية فقط استطعت أن أحتفظ بقائمة للظواهر الطبيعية الكثيرة التى أشار إليها القرآن الكريم ، ويتعين علىَّ فى النهاية وبعد هذا الفحص الدقيق الشامل أن أعلن النتيجة الحاسمة التى وجدتها أمامى وهى أن : القرآن الكريم لا تتضمن نصوصه خبرا واحدا يمكن نقضه من وجهة نظر العلم الحديث» "The Our'an did not contain a single statement that was assailable from a modern scientific point of view" .

ولقد كررت نفس الاختبار فيما يتعلق بالعهد القديم The Old Testament وفيما يتعلق بالأناجيل The Gospels محتفظا بنفس النظرة الموضوعية فى البحث والفحص والتدقيق . وفيما يتعلق بشأن التوراة لم أحتج أن أذهب إلى أكثر من السفر الأول من أسفار التوراة وهو «سفر التكوين Genesis" لكى أجد أحكاما ومعطيات توراتية لا تتسق إطلاقا مع الحقائق العلمية المسلم بصحتها تمام التسليم The cast-iron facts فى العلم الحديث .

وعندما نشرع ونبدأ فى أن نفتح الأناجيل The Gospels نجابهنا فى الحال مشكلة عويصة خطيرة . على الصفحة الأولى نجد سلسلة أنساب المسيح The genealogy of Jesus ولكن إنجيل متّى يقع فى تناقض واضح مع إنجيل لوقا بشأن سلسلة نسب المسيح ، وإنجيل لوقا لا يقدم لنا شيئا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة ببدء ظهور الإنسان على سطح الأرض .

ووجود هذه التناقضات والمعطيات المناقضة لمعطيات العلم المخالفة للمعقولية لاتبدو لى مفضية إلى عدم الإيمان[1] بالله إنها تدل فقط على مسئولية الإنسان فى هذا الصدد . إن أحدا لا يستطيع أن يحدد بالضبط كيف قد كانت نصوص كلام الله فى التوراة عندما أنزلها الله . ولا يستطيع أحد أن يحدد مدى التصورات الخيالية التى أضافها خيال وأهواء أولئك الذين قاموا بكتابتها وتحريرها، ولا يستطيع أحد أن يحدد مدى التحريف غير المقصود ولا مدى التحريف المقصود لهذه النصوص التى تحويها التوراة الموجودة بين الناس فى وقتنا الحاضر . إن ما يصدم الإنسان فى وقتنا

(١) الله موجود سواء صدق هذا الكتاب المنسوب لله أو لم يصدق بطبيعة الحال ، ولكن وجود معطيات تتناقض مع المعقولية أو مع حقائق العلم يفضى بالضرورة إلى فقدان الثقة بمصداقية أى كتاب مقدس يزعم له أحد أنه يحوى كلام الله . وهذا هو ما أشار إليه القرآن الكريم فى مواضع كثيرة من أن بعض بنى إسرائيل أو بالأصح فريق منهم غيروا وبدلوا وحرفوا كلام الله عن بعض مواضعه . هذه المواضع التى حرفوها وبدلوها وحذفوا منها وأضافوا إليها هى التى تحوى التناقض . أما كلام الله لَوْ لَم يصبه تغيير أو تحريف فمن المستحيل أن يوجد فيه تناقض ، ائتمن الله أقواما على كلامه فلم يحفظوا أمانة كلام الله أو نسوه وأهملوه وأضاعوه ، وتكفل الله بحفظ كلامه فى القرآن الكريم حتى لا يتعرض لما تعرضت له الكتب السماوية السابقة . وهذا هو الفرق الأساسى بين نصوص القرآن الكريم ونصوص غيره من الكتب . ولسوف يذكر المؤلف أسباب التناقض فى الكتب المقدسة السابقة على القرآن الكريم فى نفس هذه الفقرة من كتابه . (المترجم) .

الحاضر هو أننا عندما يتأكد لنا وجود هذه التناقضات فى التوراة والأناجيل وعدم اتساقها مع حقائق العلم الحديث نعجب كيف أن المتخصصين فى دراسة هذه النصوص إما أن يتظاهروا بعدم معرفتهم بوجود هذه التناقضات، أو يلفتوا النظر إليها ويعترفوا بها ثم يحاولوا التمويه بشأنها بأساليب جدل بهلوانية غير معقولة أو مقنعة dialectic acrobatics وعندما نصل فى دراستنا إلى إنجيل متّى وإنجيل يوحنا سأقدم أمثلة لمحاولات التبرير والتمرير بالتغرير التى قام بها بعض كبار المتخصصين فى اللاهوت المسيحى ، ومن الغريب أنه فى كثير من الأحيان تحظى محاولات التبرير من هذا النوع بقبول واقتناع كثير من الناس المتهافتين أصلا على القبول والاقتناع بشأن هذه «الشبهات» ، وهذا هو السبب فى أن كثيرا جدا من المسيحيين غير مدركين للمثالب وأوجه النقص الخطيرة serious defects التى تتضمنها التوراة وتتضمنها الأناجيل . وسيجد القارئ الكريم نماذج قليلة من كثير لهذه المثالب وأوجه النقص الخطيرة فى العهد القديم وفى الأناجيل فى الجزء الأول والجزء الثانى من هذا الكتاب .

وفى الجزء الثالث من هذا الكتاب سيجد القارئ الكريم تصويرا للتطابق الكبير غير العادى بين العلم والنص المنسوب إلى الله باعتبار أنه كلام الله فى القرآن الكريم . وسيجد القارئ الكريم أيضا إضافات يضيفها العلم الحديث إلى آيات معينة بالقرآن الكريم لم يكن تصور معانيها العلمية متاحا ممكنا قبل وصولنا إلى حقائق علمية معينة فى العصر الحديث . ولماذا يلزم أن نندهش ونعجب لهذا عندما نعلم أنه فى رحاب الإسلام نجد أن الدين والعلم توأمان متلازمان؟ منذ بدء البداية حث الإسلام الناس على الاهتمام برعاية غرس العلم فى أرض البشر ورعاية شجرته . إن تطبيق هذا المفهوم والتوجيه والإرشاد الإسلامى نحو الاهتمام بالعلم هو الأمر الذى أفضى إلى ذلك الازدهار العظيم فى عصر الحضارة الإسلامية ، وهى تلك الحضارة التى أفاد منها الغرب قبل عصر النهضة الأوروبية The Renaissance ولقد أمكن الوصول إلى قدر كبير من فهم مدى التعارض ، أو الاتفاق بين كلام الله الذى أوحاه إلى أنبيائه ورسله وبين حقائق العلم فى ضوء النصوص القرآنية عند مقارنتها بالمعارف والحقائق العلمية . ولقد كان كثير من هذه النصوص يفتقر إلى وضوح المعنى نظرا لعدم القدرة على الحصول على المعرفة العلمية[1] الصحيحة التى تفسر وتوضح المعنى الصحيح لبعض آيات القرآن الكريم[2] .

(١) معنى ذلك أن بعض الحقائق العلمية التى تم الوصول إليها حديثا قد ألقت الضوء على معان لبعض الآيات الكريمة فى القرآن الكريم كان معناها غير مفهوم قبل أن يكتشف العلماء هذه الحقائق . (المترجم) .

(٢) انتهت مقدمة المؤلف . (المترجم) .